الفصل الرابع

سلوك الصالحين فى شهر رمضان

والصالحون دائما يتأسون برسول الله ﷺ :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

والتأسى برسول الله ﷺ ، إنما هو اتباع للقرآن ، فلقد كان رسول الله ﷺ ، الصورة الواقعية للقرآن ، لقد كان خلقه القرآن ، كما قالت السيدة عائشة رضوان الله عليها .

وشهر رمضان موسم من أسمى المواسم الروحية ، فى الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى وفى الاندماج فى عباده الصالحين ، والخطوة الأولى فى هذا الطريق واللبنة الأولى فى بناء صرح التقوى ، إنما هى التوبة : إنها أول قدم فى طريق الصلح مع الله ، ولقد دعانا الله سبحانه وتعالى إلى التوبة فى أساليب تأتى تارة رقيقة ، كأرق ما يكون الأسلوب رحيمة تنبض بالرأفة .

« يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم » [1] .

ولقد عبر رسول الله ﷺ ، عن موقف الله تعالى بالنسبة للتائب بكلمة « الفرح » . إن الله سبحانه وتعالى : يفرح بتوبة عبده المؤمن .

---

(١) وردت هذه العبارة فى حديث قدسى صحيح .

وتارة يدعونا الله سبحانه وتعالى إلى التوبة فى أسلوب رهيب شديد الرهبة .

وقد جمع بين الرحمة والرهبة فى الدعوة إلى التوبة .

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ، أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكونَ من المحسنين . بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين . وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) [1] .

واختلفت الأساليب فى الدعوة إلى التوبة ، لتتناسب مع مختلف الطبائع والفطر . والصالحون وإن كانوا يتوبون إلى الله تعالى دائماً ، ويرجعون إليه ، فى اليسير من أمرهم ، والعظيم منه ، فإنهم يبدءون شهر رمضان بتجديد العهد مع الله بالتوبة الخالصة النصوح . التوبة التى تكون فيصلا حاسماً ، فى حياة الإنسان ، فيستأنف عهداً مع الله كله

---

(١) سورة الزمر آية : ٥٣ – ٦١

صدق ويبدأ حياة كلها تقوى .

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

إن الله سبحانه وتعالى يجعل له مخرجاً من كل ضيق ومن كل أزمة ، يفرج همه ، ويكشف كربه ، ويزيل غمه .

إن كلمة (يجعل له مخرجاً) مطلقة لا يقيدها قيد ولا تحدها حدود ، وشرطها الأساسي : التقوى ، التقوى بمعناها الصادق ، الصحيح المستقيم .

إن الله سبحانه وتعالى بالتقوى ، ييسر له من أمره ما تعسر وهو سبحانه ، بالتقوى ، يرزقه من حيث لا يحتسب ، يرزقه ماديًا ، ويرزقه روحيًا ، ويرزقه من حيث يدرى ، ويرزقه من حيث لا يدرى .

إن الصالحين فى ابتداء رمضان يجددون عهدهم مع الله ويلتزمون – بتجديد هذا العهد الصادق – التقوى :

وتتألق تقواهم – تأسياً برسول الله ﷺ فى أمرين :

الأمر الأول :

الإكثار من قراءة القرآن .

والأمر الثانى :

الإكثار من الصدقة .

روى الإمام البخارى والإمام مسلم ، رضى الله عنهما ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

«كان رسول الله ﷺ ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ، ﷺ – حين يلقاه جبريل – أجود بالخير من الريح المرسلة ، وفى هذا الحديث الشريف ربط بين رمضان والقرآن وكثرة الصدقة .

١ – القرآن

القرآن هو دستور المسلمين ، إن قراءته عبادة ، والتفكير فيه عبادة ، واتباعه واجب ، وكلما اقترب الإنسان من تحقيق الأخلاق التى رسمها ، كان أقرب من الله ورسوله ، وأحب إلى الله ورسوله .

يجعله الصالحون شعارهم ، ويجعلونه وردهم ، إنه ربيع قلوبهم الدسم ، وهو الرياض التى تتفتح أزاهيرها لبصيرتهم ، ناضرة يانعة ، إنها تتفتح لهم على الدوام ، فيستمتعون بأريجها العطرى ، وجمالها الرائع ، وروعتها الجميلة .

ولقد وصفه رسول الله ﷺ ، ونذكر روايتين من هذه الأوصاف .

إحداهما هى : ما أسنده أبو بكر محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا

القرآن حبل الله ، وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما أنى لا أقول : ألم حرف ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف . ولا ألفين أحدكم واضعاً إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة ، فإن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله .

أما الثانية : فهى ما أسنده أبو محمد الدارمى السمرقندى فى مسنده عن الحارث عن على رضى الله عنه ، وخرجه الترمذى قال على رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت يا رسول الله ! وما المخرج منها ؟ قال كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن

عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم

ولقد علم الصالحون ما رواه الترمذى فى حديث حسن صحيح — عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف وميم حرف » .

وعلم الصالحون ما رواه البخارى رضى الله عنه ، عن عثمان رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

علم الصالحون ذلك — وفضائل القرآن لا تعد فوطنوا أنفسهم أن يزيد التجاؤهم إلى القرآن فى شهر رمضان .

والقرآن ذكر ، وهو دعاء ، وهو سؤال لله سبحانه وتعالى يتصل بالخير والرحمة والمغفرة ، ورسول الله ﷺ يقول : — فيما رواه الترمذى وحسنه عن أبى سعيد قال — قال رسول الله ﷺ ، يقول الرب تبارك وتعالى :

« من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

ويجب أن يتحدثوا فى القرآن مع غيرهم ، وأن يتدارسوه مع الآخرين ، معلمين أو متعلمين ، وذلك تحقيقاً واتباعاً للحديث الشريف الذى أخرجه الإمام مسلم ، بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به علمه ، لم يسرع به نسبه » .

ولقد وردت أحاديث مختلفة صحيحة وحسنة ، فى فضل آيات وسور معينة ، نذكر منها ما يلى :

قلب القرآن :

عن معقل بن يسار رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرءوها على موتاكم »[1] .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود ، والنسائى ، واللفظ له ، وابن ماجه ، والحاكم ، وصححه .

عروس القرآن :

عن على (رضى الله عنه) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لكل شيء عروس وعروس القرآن (الرحمن) [1] »

سورة يحبها رسول الله ﷺ :

عن على (رضى الله عنه) قال : كان رسول الله ﷺ ، يحب هذه السورة « سبح اسم ربك الأعلى » رواه أحمد .

السبع المثانى :

عن أبى سعيد بن المعلى ، قال : كنت أصلى فى المسجد فدعانى النبى ﷺ ، فلم أجبه (حتى صليت) ثم أتيته ، فقلت : يا رسول الله ! إنى كنت أصلى قال : « ألم يقل الله » (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم) ، ثم قال : ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟ فأخذ بيدى ، فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله ! إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة من القرآن قال : « الحمد لله رب العالمين » هى السبع المثانى ، والقرآن العظيم الذى أوتيته [2] .

---

(١) من مخطوطة الحاكم

(٢) رواه البخارى

الزهراوان :

عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ :

« اقرءو القرآن » فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرءوا الزهراوين ، البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيايتان [1].

أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة » [2]

آيتان من كنز الله الذى تحت العرش :

عن سيدنا رسول الله ﷺ ، قال :

« إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطيتهما من كنزه الذى تحت العرش ، فتعلموهن وعلموهن نساكم ، فإنهما صلاة وقربان ودعاء » ، رواه الدارمى مرسلا .

الملائكة تدنو لسماع سورة البقرة :

عن أبي سعيد الخدرى ، أن أسيد بن حضير ، قال :

---

(١) وهى باليامين ، ما يكون أدون منهما بأكثافه ، وأقرب إلى رأس صاحبها .

(٢) رواه مسلم .

بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت وكان ابنه يحيى قريباً منها فانصرف فأخره ثم رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال :

أو تدرى ما ذاك ؟ قال لا ، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر إليها الناس لا تتوارى منهم » [1].

وتدنو الملائكة لسماع سورة الكهف :

عن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى – جانبه حصان مربوط بشطنين [2] فتغشته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر [3] ،فلما أصبح أتى النبي ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال : تلك السكينة ، تنزلت بالقرآن » [4].

---

(١) متفق عليه .

(٢) الشطن : الحبل الطويل الشديد الفتل .

(٣) فى مخطوطة الحاكم : تنفر .

(٤) متفق عليه .

أعظم آية فى كتاب الله :

عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : يأبا المنذر ! أتدرى أى آية من كتاب الله تعالى معك أعظم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال يأبا المنذر ! أتدرى أى آية من كتاب الله تعالى معك أعظم ؟ قلت : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) قال : فضرب فى صدرى وقال : ليهنك العلم يأبا المنذر ! [1].

نوران :

عن ابن عباس قال : بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضاً [2] من فوقه ، فرفع رأسه فقال :

هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك ، فقال :

هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم فقال :

أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك :

فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته [3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) نقيضا : أى صوتا

(٣) رواه مسلم.

صفة الرحمن :

عن عائشة : أن النبى ﷺ ، بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ « قل هو الله أحد » ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال :

سلوه لأى شىء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال :

لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأها ، فقال النبى ﷺ :

« أخبروه أن الله يحبه » [1].

سورة تشفع لصاحبها :

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى :

« تبارك الذى بيده الملك » .

رواه أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه ، وإسناده حسن .

سورتان يقرؤهما رسول الله ﷺ قبل نومه :

عن جابر أن النبى ﷺ ، كان لا ينام حتى يقرأ (آلم

---

(١) متفق عليه .

تنزيل) .و (تبارك الذى بيده الملك) [1].

المعوذتان :

عن عقبة بن عامر : بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ ، بين الجحفة ، والأبواء ، إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة ، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ (أعوذ برب الفلق) و (أعوذ برب الناس) ويقول يا عقبة ! تعوذ بهما فما تعوذ بمثلهما [2] رواه أبو داود .

وبعد :

فإن رسول الله ﷺ يقول : فيما رواه الحاكم وصححه عن عبد الله ابن عمر ، رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل ، وفى جوفه كلام الله » [3].

---

(١) رواه أحمد والترمذى والدرامى . وقال الترمذى : هذا حديث صحيح .

(٢) إسناده صحيح .

(٣) رواه الحاكم وإسناده صحيح .

٢ – الجود

«كان رسول الله ﷺ ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ ، حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة» .

وفى هذا الحديث الشريف ربط بين رمضان والقرآن وكثرة الصدقة . والواقع ، أن كثرة الصدقة فى رمضان : هى الدليل الواضح ، على أن الصوم وقراءة القرآن قد أثمر الثمرة المرجوة .

أما هذا الذى يصوم رمضان ، ويتلو كتاب الله ، وهو رحمة ونور ، فلا يشرق قلبه بنور الرحمة ، ولا تتألق نفسه بضياء الكرم ، ولم يوق شح نفسه ، فإن ذلك ، إذا دل على شىء ، فإنما يدل على أن وسائل النور هذه لم تتغلغل فى نفسه ، فتصل إلى أعماقها مختلطة بلحمه ودمه ، فتقوده إلى الجود والإحسان . (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .

وشهر رمضان : من المواسم التى يتضوع فيها الإيمان ويشرق فى النفس ، فتتذكر عهدها مع الله : عهد الإيمان ، فتجود بالنفس فى

سبيله ، إذا لزم الأمر ، والجود بالنفس أسمى غاية الجود ، وتجود بالمال فى سبيله مستبشرة بالوفاء بالعهد فى صورته الهينة السمحة : إن الصدقة برهان ، على حد أخبار رسول الله ﷺ .

أما الشح المطاع ، فإنه من الثلاث المهلكات ، يقول الله تعالى :

(ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون) .

ويقول سبحانه :

(ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ، هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير) .

على أن الرجل الذى يتصدق بصدقة ، فلم تعلم شماله ما أعطته يمينه ، داخل نطاق السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله .

كان ، صلوات الله وسلامه عليه ، يكثر من تلاوة القرآن ، وكان جواداً ، حتى إذا ما أتت العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله ، وإذا كان يجتهد فى رمضان فى العبادات مالا يجتهد فى غيره ، فإنه فى العشر الأواخر منه ، كان يجتهد مالا يجتهد فى غيرها .

وبعد :

فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله

إلاالطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه ، حتى تكون مثل الجبل »[1].

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما نقصت صدقة من مال (شيئاً) ، وما زاد الله عبداً يعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »[2].

وعن أبى موسى الأشعرى ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« عن كل مسلم صدقة . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بيده فينفع نفسه ، ويتصدق . قالوا : فإن لم يستطع ؟ — أو لم يفعل ؟ — قال : فيعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا فإن لم يفعل ؟ قال : « فيأمر بالخير » قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : « فيمسك عن الشر » ، فإنه له صدقة »[3] .

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ :

إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة » قالوا : يا رسول الله : أيأتى أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال ، كان له أجر »[4] .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه مسلم .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال قال : رسول الله ﷺ :
« ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة ، إلا كانت له صدقة »[1] .

٣ – قول معروف ومغفرة

يقول الله تعالى فى سورة البقرة (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم) . وردت هذه الآية الكريمة ضمن آيات عدة تحث على الصدقة وتذكر آدابها وثمراتها ، وقد بدأ الله سبحانه ، هذه الآيات بذكر ثمرات التصدق فى سبيل الله : ترغيبا فى الصدقة من أول الأمر فمثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيله سبحانه ، كمثل حبة غرست فى الأرض فنبتت وأينعت وأثمرت سبع سنابل ، ممتلئة موفورة فى كل سنبلة مائة حبة ، ويشير الله بذلك إلى أجر المتصدق ومقدار ما يخلفه الله عليه جزاء صدقته ، هذا الأجر الذى يتضاعف فيصل إلى سبعمائة مثل ولكنه لا يقتصر على ذلك فإنه بمقدار إخلاص المتصدق يضاعف الله له الأجر إذا شاء وإن فضل الله لأوسع من أن يضيق بمنح الأضعاف المضاعفة وهو سبحانه ، عليم بمن يستحق ذلك من المخلصين .

وبعد ذلك تتعرض الآيات لبعض شروط الصدقة المقبولة . فمن

---

(١) متفق عليه .

ذلك أنه سبحانه ، لا يقبلها من هؤلاء الذين يتبعونها بالمن . والمن أن يعتد المتصدق ويفتخر بإحسانه على من أحسن إليه فيقول مثلا : أنا أحسنت إليه فى كذا ، وفى كذا ، وأنا فعلت معه هذا وذاك . يريد بذلك إظهار فضله عليه . ومن ذلك أيضاً أنه سبحانه ، لا يقبلها ممن يتبعها بالأذى .

والأذى أن يتطاول المنفق على من أنفق عليه بالكلام أو بغيره . أما الذين لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى فإن أجرهم عند الله سبحانه ، جزيل . ومن أجل إبعاد المتصدقين عن أن يقعوا فيما يتصل بالمن والأذى من قرب . أو من بعد ، أفاض سلفنا الصالح فى الحديث عما يمكن أن يكون مناً أو أذى فقالوا : المن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيره بالفقر ، وقالوا المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره ويوبخه بالمسألة ، وقد قال الإمام الفقيه سفيان الثورى مَنْ منَّ فسدت صدقته ، فقيل له كيف المن ؟ فقال : أن يذكره ويتحدث به أى يذكر صدقته ويتحدث بها .

ولقد كان سلفنا الصالح دقيقاً فى هذه المعانى حتى لقد قال زيد بن أسلم رضى الله عنه : إذا أعطيت أحداً شيئاً وظننت أن سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه . على أن الكلام الحسن والرد الجميل على السائل ، والبشاشة فى وجهه والتجاوز عن إلحافه ومغفرة ذلك له ، وكلها أمور سهلة التحقيق خير عند الله وأفضل من صدقة يتبعها منٌّ أو

أذى للسائل . والدين الإسلامى دين يحافظ على كرامة الفرد محافظة تامة مادام الفرد محافظاً على حدود الدين وآدابه لا يجاوزها . وهو وإن حث على الصدقة والإنفاق فليس معنى ذلك الحط من قيمة الفقير . بل إنه مما يؤثر عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما الذى أعطى من سعة بأفضل أجراً من الذى يقبل من حاجة .

ويروى أيضاً أنه قال ما معناه : إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد الفقير . على أن الصدقة فى الجو الإسلامى إنما تفيد المتصدق أكثر مما تفيد الآخذ ذلك أن فائدتها للآخذ تكاد تكون فائدة ، مادية وحسب . إنها بالنسبة له لا تعدو أن تكون علاجاً للجوع أما بالنسبة للمعطى فإنها تفيده فى الدنيا ، وتفيده فى الآخرة . أما فائدتها فى الدنيا فإن الله سبحانه يخلف عليه لا بالمثل فحسب بل بأضعاف مضاعفة . ويقول الله تعالى :

(وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه) ، والصدقة دواء من المرض يقول صلوات الله عليه « داووا مرضاكم بالصدقات» . ويقول صلوات الله عليه فى إجمال ، وفى شمول : الصدقة تسد سبعين باباً من الشر . أما فائدة الصدقة فى الآخرة فإنها كما يقول صلوات الله عليه : « تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » . ويقول صلوات الله عليه : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » . ومن أجل فائدتها دنيا وأخرى كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم عندهم شعور مرهف ، وإحساس

دقيق ، واندفاع إلى الخير فى صورة الصدقة ، فلقد تصدقت عائشة رضوان الله عليها ، بخمسين ألفاً وإن ثيابها لمرقعة . ولقد كانت رضوان الله عليها ، كغيرها من فضليات ذاك العهد الكريم إذا أرسلت صدقة إلى فقير قالت لمن ترسله بالصدقة : احفظ ما يدعو به ثم كانت ترد عليه مثل قوله فتدعو له بمثل ما دعا لها وتقول هذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا ، وكانت لا تتوقع الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانت تقابل الدعاء بمثله ولقد عرفوا رضوان الله عليهم قيمة الصدقة عند الله ، وقيمتها فى سبيل القرب منه سبحانه . يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز واصفاً فضل العبادات فى التقريب من الله : الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه ، عرفوا ذلك فتنافسوا فى البذل والإنفاق والتزموا حدود الآداب التى يحبها الله سبحانه من المنفق ، وذلك أن يعتقدوا أن للفقير فضلا عليهم فى تطهير أموالهم ، وفى تزكية نفوسهم ، وفى وضعهم موضع القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى فابتعدوا كل البعد عن إيذاء الفقراء على أى وضع من الأوضاع ، وإذا لم يكن عندهم ما يهدونه إلى الفقير قالوا له قولا معروفاً ، وإذا ألحف غفروا له إلحافه ، وإذا فاه ببعض ألفاظ لما يجد من الضيق الذى يحيط به عفوا عنه .

وبعد :

فإن أسلافنا ممن أنار الله بصائرهم كانوا يتبعون الهدى الإسلامى فى أموالهم .

إن هذه الأموال اشتراها الله منا فى عقد الإيمان بثمن هو الجنة : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ، وأموالهم بأن لهم الجنة) ، فالمال مال الله والله سبحانه استخلفنا عليه ثم أمرنا بأن ننفق منه فى سبيله وعلى عياله أى الفقراء مما استخلفنا فيه :

(وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

وهو سبحانه المعطى المال فالفضل منه وإليه ولو شاء لأغنى الفقراء . ولكنه سبحانه فتح أمام الأغنياء بالصدقة باباً هو الصدق فى الإيمان حتى تكمل نفوسهم وتزكو فيرضى عنهم ويدخلهم فى رحاب رحمته ورضوانه .